من سير أعلام الشهداء

٣٢

أبو دجانة وأبو عبيدة

[أبو دجانة وأبو عبيدة]

[القوي بالله]

" القويّ بالله "، ليس هذا لقبٌ تلقّبَ به شهيدنا في حياته، لكن وجدتُ أنه أصدق وصف لعبد الله التقي النقي الطاهر الظافر "أبي دجانة اليمني".

قُتِلَ الرَّجل ولحق بمن سبقه من رفقة الدّرب ضاحكاً مستبشراً، ولو قيل له قبل رحيله إنك غداً ميت، فتزوّد، ما طاق وربّي أكثر ممّا كان يعمل، فمن هو؟!

لا أكاد وربّي أصدّق رحيل الرَّجُل، قلبي لا يستطيع تصديق الخبر، فؤادي حقّاً ينكر ذلك، أكتب الآن عن أخي وقلمي يضطرب ويهتزّ كأنّه ينكر عليّ، "أنا القاسي القلب" تلك الكتابة.!! وكأنّه يقول: ما أقساك من قلب، هل تستطيع أن تتخيل أن أبا دجانة ميّت؟ هل تستطيع أن تكتب عن هذا الجبل ؟ أحقاً تظن يا مسكين نفسك أديباً ؟! أحقّاً تستحق أن تسطّر عن مثل هكذا شخص؟!، هل خُدعت أو خدعك أحد فتظنّرأن لك القدرة على وصف الرجال وعمالقة الجهاد وتلاميذ النبوة وحماة العقيدة وطلاب الشريعة والسابقون الى رب العالمين. فأجبتُ قلمي: والله إنك لصادق وإني وربّي أعلمُ أني كاذب، ووالله يا هذا ما وقفت قط أمام أبي دجانة إلا وشعرت نفسي مثل الذر، وما غبط أحد ما غبطه على عمله، لكن عذراً يا صاحبي فإنما هي مشاعر أسطرها وكلمات أكتبها، لا عليك، فربما يشعر بمصابي أحد فيدعو الله أن يصلح حالي ويتغمدني برحمته التي وسعت كل شيء. أما أنت يا عيني فكفاك دمعاً وتحجري يا دمعة كما عهدتك، أقسى من الصخر، ما لك اليوم تتساقطين وعن البكاء لا تكفين، هل لإن حبيبي لم يجف دمه بعد. أم لأن الشهيد كان عمودي الفقري ويدي الضاربة، فأشعر بعده بشيء من العجز وقلة الحيلة. أم أنه الحب، الحبُ الّذي أِشعر به يتساقط من

أطرافي تجاه هذه العصبة. نعم هو هو ! هو الحب أشهد الله، وو الله وهو فوق العرش ويعلم صدق قلبي أني لهؤلاء الأخوة مُحِبّ، لا بل عاشق، وما أحببت مثلهم قط، كما أنهم وكما أظن وأشعر أني لم أر حبّاً كحبّهم لي وأدباً كتأدبهم. فإن كان هؤلاء الشباب يحبّون العبد الضعيف فإني والله أعشقهم، وإن كانوا يجلّوني فإني أكبرهم وأقدرهم، أشعر أمامهم أني صغير صغير، وإن كانوا يعتبروني أخاً كبيراً وأباً لهم، فإني أشعر أني لهم خادم. ووالله ما رأت عيني الرجال قبلهم، ولا رأيت مثلهم ولا شبههم، أعني أحبابي في كتيبتي وفلذة فؤادي "كتيبة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها".
فإن هذة الكتيبة مباركة تماماً كبركة من سُمّيت بإسمها أمّنا " عائشة " أم المؤمنين " رضي الله عنها "، فالله يحفظهم ويزيدهم ولا ينقصهم ويبارك في إعمالهم ويرفع قدرهم، إنه على كل شيء قدير.

"أبو دجانة"، نحيل الجسم جداً، شاحب اللون، بل أصفر الوجه، رثّ الثياب. لكنه أسد يزأر، وسهم يعرف عينه، وكنز مفقود، وصف نفسه يوما و كان يحمل قذيفة لمدفع النمساوي فقال يا شباب هذه القذيفة أثقل مني بثلاث كيلوات، وزنها 45 كجم ووزني أثنين وأربعين.
دخل يوماً ما مضافة الشباب وبحث عن مكان ينام فيه فما وجد، فاستيقظ صاحبه وأخوه " الشهيد البطل أبي أنس اليمني "، فوجده يبحث عن مكان له، فقال: أقول لك، أين تنام ؟ فقال الحبيب: أي والله وين؟ قال أسحب طلقة من مخزن الكلاشن ونام مكانها. فضحك الجميع ومن ثم حشر نفسه بينهم.
أبو دجانة صاحب عقيدة فولاذية، من أسود اليمن، من جنوبه، إسمه الحقيقي "شفيع " – نسألُ الله أن يُشفّعه فينا يوم القيامة -، وقد التحق بعصبة من إخوانه يريدون القيام على طاغية اليمن الغبي الحقير "علي عدوّ الله صالح" إلا أن أميرهم ترك الجبل وباع إخوانه بدراهم معدودة وبمنصب حقير، ففر أبو دجانة بدينه، وقد لقي من ذلك شدة

كبيرة. قال لي يوماً من الأيام وقد ضاق بنا الحال؟ قال: والله لما هربنا في اليمن كنت أنام فوق شجرة من الأشجار، أربط نفسي عليها حتى لا أسقط.

عشق الشهيد " تقبله الله " ومنذ كان باليمن المتفجرات، فكان له معها صولات وتجارب، ولما لحق بإخوانه في بلاد الرافدين، التحق بالأخ "الباشق" وكتيبته أيضاً "أبو دجانة" وأخذ منه علم التصنيع ثم تعلم التشريك والتفخيخ ومهر في ذلك حتى سبق الجميع فإلى أن مات لا يوجد عندنا مثله ولا حتى من يقترب منه.

فيرجع الفضل بعد الله ثم إلى أبي دجانة في تفخيخ الكثير من السيارات المفخخة للإستشهاديّين وغيرها، وأهم أعماله وأكبرها هي "الخباطة" المباركة التي دمرت بقوة الله فندق شيراتون بغداد وميرديان فلسطين، وكذلك عملية فندق الحمراء، أي غزوتي بدر بغداد والشيخ الأسير. ثم إن أبا دجانة ملأ الدنيا عبوات، فقد قطع جميع الطرق في المنطقة التي كان يعيش فيها على الأمريكان فكان يواصل الليل بالنهار لا يفتر عن عمل قط، يستيقظ من الصباح ولا يجلس، ولا ينام إلا بعد العشاء وقد أكله التعب وشرب، فكان يُتعب إخوانه في العمل ولا يهتم بطعام ولا شراب، مررت يوما وهو يزرع عبوة، فنظرت إلي وجهه، فرأيته أصفر كالليمون وقد كان ذلك عصراً، فقلت له كالمستنكر.؟ أنت صائم؟ قال: لا، قلت: كُلْ يا بنيّ بالأمر، كُلْ واتّقي الله.

كما أنه برع في التفخيخ والتشريك، برع كمقاتل لا يعرف الخوف وليس له بخُلُق. فقد كان من أعمدة اقتحام سجن أبي غريب الأخيرة وأبلى فيها بلاءً حسنا، بل لأجلها جاء من الغربية ثم كان من أعمدة الأخوة في غزوة الثأر، وكان الشهيد رامياً محترفاً لقاذف الـ (آر بي جي)، والتوفيق والسداد من الله. بل إن أبطال الأخوة كـ "أبي أنس الشامي وأبي رضوان التونسي رحمهما الله " كانوا يطمئنون إذا وجدوا أبا دجانة في الصف جانبهم.

أحبه الأخوة جميعاً من أعماق قلوبهم، لِما وجدوا فيه طيّب الخلق وقلة الشكوى، بل عدمها وكثرة العمل والحرص على الدِّيْن والنّصح للمسلمين، ونكران الذّات. ففي ليلة استشهاده جاء إلى "أبو عبيدة المكي" - والذي سأعود إليه بعد قليل - وقال: ابو دجانة يريد الزواج فضحكتُ، ثم جاء أبو دجانة بعد أن اغتسل ولبس ثيابه وتطيّب، ففاتحته على جمع من الأخوة وكنت أقصد أن أمازحه، فأستحى جداً كأنه عذراء في خدرها حتى أني أستحيت لحيائه فأخذ مجموعته مجموعة الزرع وانصرف، فقلت لجليس لي: والله لو أن عندي مائة مثل الرجل النحيف هذا لفتحت العراق بعون الله، ثم قلت: والله اني أخاف عليه أن أفقده، وقد كان هذا الشعور يلازمني قبل نحو عشرة أيام من استشهاده، فأحضرت مجموعة من الأخوة إليه كي يعلمهم مما علّمه الله " أعني يعلمهم التفخيخ والتشريك"، ثم إني خفت عليه أن يموت من شدة حاله فكنت آمره بالطعام.
و في يوم مقتله كنت أنظر إليه بخوف شديد، وقلت لجاري وكان هو " الأخ أبو جعفر ": والله أخاف على أبي دجانة، أشعر أني أريد أن أضعه في عيني أو في قلبي حتى لا أفقده، أحتاج إليه من لي بمثله.
و إذا بالرجل يذهب كعادته لزرع عبوة على الطريق مع مجموعته، إلا أنه ذهب هذا اليوم متأخراً بعض الشيء وذلك لظروف المنطقة، فوقع في كمين للأمريكان كان لتوّه قد نُصِب، فكشف أمر مجموعةٍ سبقته من الأخوة، ونجوا من الكمين بأعجوبة، إلا أن أبا دجانة رأى سيارة الأخوة متوقفة على الطريق، فوقف ينظر الخبر، وعندها إذا بسيلٍ من الطلقات في صدره وأبي عبيدة بطلقة في رأسه وجرح آخر، وردّ الأخوة على النار بالمثل وقتلوا منهم أكثر مما قتل أعداء الله منا، وانسحبوا يجرّون قتلاهم وجرحاهم مع الخزي في الدّنيا والنّار في الآخرة.
أما صاحبنا أبو دجانة فقد دُفِن في اليوم الثاني ظهراً، ومع أنه مات في حاله، إلا أنه ولساعة دفنه كان جرحه ما يزال ينزف دماً، مما أثار تعب

الكثيرين، وقد دفن هو وأخوه أبو عبيدة في قبر واحد لما كان بينهما من المحبة، ولضيق الحال والوقت لحفر مكانين للأخوة، فنسألُ الله أن يخلفنا فيهم خيراً، ولا نقول إلا ما يرضي ربّنا.

[أبو عبيدة المكّي]

هو عبد الله الصالح (رياض الحربي) من بلاد الحرمين ومن أشرف البقعتين " مكة المكرمة "، من تلك القبيلة الأبية التي فجرّ ابنها البار مجمع المحيا الصليبي.
صاحب عقيدة لا يداهن عليها، يكره الطواغيت العرب وخاصة طواغيت آل سلول أشدّ من كُرهه للنّار وعذابها. كان يهش ويطرب مع كل طلقة في أعناقهم أو مصيبة حلت بهم، وكان يومه المشهود في فرحه يوم إعلان موت الدمية الهالك " فهد بن عبدالعزيز"، حيث كاد أن يطير فرحاً ويسكر نشوة.
هو أيضاً المبتلى في الله وصاحب الكرامات المشهودة في معركة الفلوجة الثانية، هو "صاحب البلم" أو " صاحب القارب".
فقد كان ضمن مجموعة من إخوانه في حي الأندلس ثم فرقهم إطلاق النار إلا أنّ أبا عبيدة أصيب في فخذه بطلقة ثم تحامل وركض وأثناء ركضه أصيب بطلقة أخرى في جنبه، إلى أن لجأ إلى أحد المنازل وكان أمامه "بلم" أي مركب صغير، فرفعه ثم نام تحته، وأخذ جرحه ينزف إلى أن أغمي عليه ثم فاق ولم يشعر بأحد، فخرج ليلاً يبحث عن شيء يربط به جراحه ويضمدها فلم يجد إلا أوراق الشجر فكان يأخذ منها ويضع على جرحه، ولم يكن عنده شيء من الطعام قط إلا بعض "النارنج"، وهو فاكهة أشبه بطعم الليمون وشَكل البرتقال، وأوراق الشجر وعليها أقتات.
فكان كل ليلة يتحامل على نفسه ويخرج ليأت ببعض الأوراق والنارنج

ثم يدخل تحت البلم، إلى أن تعفنت جراحه ووجد من ذلك شدّة.
إضافة إلى أن أعداء الله قد اتخذوا موقعاً لهم بالقرب من مكانه وهم لا يشعرون به، فكانوا يسكرون ويغنّون ويتناكحون بالقرب منه كالبهائم، فزاد ذلك من بلائه، يقول الشهيد فلم أجد شيئا أدعوا الله به إلا كلمة التوحيد، فكان يقول: " اللهم إن كنت تعلم أني أقول أشهد ان لا إله إلا الله خالصاً من قلبي ففرّج عني". فبرأ جرحه وتعافى سنّه.

ثم إن أعداء الله فتشوا مكانه مرات عديدة وفي أحد هذه المرات رفع جندي البلم من مكانه ثم نظر إلى أبي عبيدة تحته وأنزل البلم مرة أخرى قائلاً لصاحبه لا شيء تحته. على الرغم أن عيونه كانت في عيون شهيدنا، أعماهم الله، ثم تكرر هذا الأمر مرة أخرى وبعد فترة، ونفس الموضوع، إلا أن هذه المرة كان الجندي من الحرس الوثني "الوطني" العراقي، وكذلك قال لا شيء هنا.
و قد مكث الشهيد على هذه الحالة قرابة الأربعين يوماً وبعد ذلك لحق الشهيد رحمه الله بكتيبة أم المؤمنين عائشة فكان أحد دعائمها وأهم فرسانها، فأسند إليه مسؤلية المالية، لأمانته وحرصه الشديد على مال الله أن يوضع في حقّه ومستحقه. ثم أسند إليه بعد ذلك إمارة سرية القناصة فاجتهد في تأسيسها غاية الأجتهاد حتى أثمرت بحول الله، ثم أُسند إليه رعاية الأخوة الأستشهاديين والقيام بشئونهم لما يعرف من أبي عبيدة من حرصه على إخوانه وشدّة حبّه واهتمامه بهم وحسن أدبه وظرافة طبعه وخفّة ظله، كما أنه مُسعّر حرب يقظّ الهمم.
كما أنه وقبل استشهاده بنحو أسبوع طلب الألتحاق بسرية التفخيخ مع أخيه وصديقه وحبيبه أبي دجانة، وقد رأيته معه ليلة استشهادهما، وكنت قد علمت أن هناك امرأة لما سمعت بحسن خلقه وجميل صفاته طلبت الزواج منه، ففاتَحْتُهُ وقلتُ له أني موافق فتوكل على الله، فقال:
أخاف يا حجّي أن تفتر همّتي، قلت لا عليك الله يقوّيك.
فأردنا أمراً وأراد الله أمراً، أردنا زواجه من الدُّنا وأراد الله زواجه من

الحور، وإني لأرجو ألا يُحرم هذة المرأة من زواج شهيدنا لها في الآخرة.

نسيت أن أٌقول أنّ الشهيد الحبيب كانت له أيادي بيضاء في الدعوة إلى الله وخاصة في أوساط النساء. فقد لاحظ قلة الحجاب الشرعي "النقاب" في أماكن تواجده، فاشترى كمية من الحجاب وأخذ يوزعها على الأخوة المتزوجين، ثم هم بدورهم أخذوا يوزعونها على أهل المنطقة بالمجّان، حتى صار الحجاب سمة غالبة لنساء هذة المنطقة، وقد استشهد رحمه الله وما زال في جيبه تسعمائة دولار أعدها لهذا المشروع، أسأل الله ان يكسيه من حلل الجنان كما كسا أخواته في الدنيا وأن يجمعنا وإيّاه في جنّات عَدْن، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وكتبه:
أبو اسماعيل المهاجر